4156 - حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد ا بن كعب بن مالك أن عبد ا بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب .

ولم بدر في تخلفت كنت أني غير تبوك غزوة في الإ غزاها غزوة في A ا رسول عن أتخلف لم Y يعاتب أحدا تخلف عنها إنما خرج رسول ا A يريد عير قريش حتى جمع ا بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول ا A ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة وا ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول ا A يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول ا A في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول ا A كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان . قال كعب فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي ا وغزا رسول ا صلى .

ا عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول ا A والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا فأقول في نفسي أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول A والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئا ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول ا A فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق أو رجلا ممن عذر ا من الضعفاء ولم يذكرني رسول ا A حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك (ما فعل كعب) . فقال رجل من بني سلمة يا رسول ا حبسه برداه ونظره في عطفيه . فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت وا يا رسول ا ما علمنا عليه الإ خيرا . فسكت رسول ا A . قال كعب بن مالك فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول ا A قد أظل قادما زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه وأصبح رسول ا A قادما وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس قلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه

ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول ا A علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى ا فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال (تعال) . فجئت أمشي حتى جلست يديه فقال لي (ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك) . فقلت بلى إني وا - يا رسول ا - لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا ولكني وا لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن ا أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو ا لا وا ما كان لي من عذر وا ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . فقال رسول ا A (أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي ا فيك) . فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي وا ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول ا A بما اعتذر إليه المتخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول ا A لك . فوا ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما ؟ قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول ا A المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول ا A فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوا ما رد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك با هل تعلمني أحب ا ورسوله ؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال ا ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار .

قال فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشأم ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك ا بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها وهذا أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول ا A يأتيني فقال إن رسول ا A يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال لا بل اعتزلها ولا تقربها . وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي ا

في هذا الأمر .

قال كعب فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول ا A فقالت يا رسول ا إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟ قال (لا ولكن لا يقربك) . قالت إنه وا ما به حركة إلى شيء وا ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول ا A في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أميه أن تخدمه ؟ فقلت وا لا أستأذن فيها رسول ا A وما يدريني ما يقول رسول ا A إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ؟ فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول ا A عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر ا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج وآذن رسول ا A بتوبة ا علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إلي رجل فرسا وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه وا ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول ا A فيتلقاني الناس فوجا فوجا يهونني بالتوبة يقولون لتهنك توبة ا عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فإذا رسول ا A جالس حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد ا يهرول حتى صافحني وهنأني وا ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول ا A قال رسول ا A وهو يبرق وجهه من السرور (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك) . قال قلت أمن عندك يا رسول ا أم من عند ا ؟ قال (لا بل من عند ا) . وكان رسول ا A إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست .

بين يديه قلت يا رسول ا إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى ا وإلى رسول ا قال رسول ا A (أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك) . قلت فإني أمسك سهمي الذي بخيبر فقلت يا رسول ا إن ا إنما نجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا مالقيت . فوا ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه ا في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول ا A أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول ا A إلى يومي هذا كذبا وإني لأرجو أن يحفظني ا فيما بقيت . وأنزل ا على رسوله A { لقد تاب ا على النبي والمهاجرين والأنصار - إلى قوله - وكونوا مع الصادقين } . فوا ما أنعم ا علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول ا A أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن ا قال للذين كذبوا - حين أنزل الوحي - شر ما قال لأحد فقال تبارك وتعالى { سيحلفون با لكم إذا انقلبتم - إلى قوله - فإن ا لا يرضى عن القوم الفاسقين } .

قال كعب وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول ا A حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول ا A أمرنا حتى قضى ا فيه فبذلك قال ا { وعلى الثلاثة الذين خلفوا } . وليس الذي ذكر ا مما خلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه .

[ر 2606] .

[ش أخرجه مسلم في التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه رقم 2769 .

(قط) أي زمان مضى . (أقوى ولا أيسر) أكثر قوة ويسارا أي غنى . (راحلتان) مثنى راحلة وهي ما يصلح للركوب والحمل في الأسفار من الإبل ويصلح للسفر . (أهبة غزوهم) وفي نسخة (عدوهم) ما يحتاجون إليه في السفر والحرب . (طابت الثمار والظلال) نضجت الثمار ولذ للنفوس أكلها وكثرت الظلال بتورق الأشجار ورغبت النفوس أن تتفيأ فيها . (فطفقت) أخذت وشرعت . (اشتد في الناس الجد) بلغوا غاية اجتهادهم في التجهيز للخروج . (جهازي) ما أحتاجه في سفري . (فصلوا) خرجوا من المدينة وفارقوها . (تفارط الغزو) فات وقته وتقدم . (مغموصا) محتقرا مطعونا في دينه أو متهما بنفاق . (حبسه براده والنظر في عطفيه) أي منعه من الخروج إعجابه بنفسه ولباسه وبراده مثنى برد وهو الكساء وعطفيه مثنى عطف وهو الجانب . (قافلا) راجعا من سفره إلى المدينة . (سخطه) غضبه وعدم رضاه عما حصل مني . (أظل قادما) دنا قدومه إلى المدينة . (زاح عني الباطل) زال عني التفكير في الكذب والتماس الأعذار الباطلة . (فأجمعت صدقه) عزمت على أن أصدقه . (المخلفون) الذين لم يذهبوا مع رسول ا A وتخلفوا عنه . (علانيتهم) ظاهرهم . (سرائرهم) جمع سريرة وهي ما يكتم في النفوس . (ابتعت ظهرك) اشتريت راحلتك . (جدلا) فصاحة وقوة حجة وكلام . (تجد) تغضب . (كافيك ذنبك) يكفيك من ذنبك . (أسوة) قدوة . (تغيروا لنا) اختلفت أخلاقهم معنا عما كانت عليه من قبل من الود والألفة . (تنكرت) تغيرت . (فاستكانا) ذلا وخضعا وأصابهما السكون . (أطوف) أدور . (فأسارقه النظر) أنظر إليه خلسة . (تسورت) صعدت على سور الدار . (حائط) بستان من نخيل . (ففاضت عيناي) انهال دمعهما . (نبطي) فلاح . (دفع إلي) أعطاني . (جفاك) أعرض عنك وقاطعك . (هوان) ذل وصغار . (مضيعة) حيث يضيع حقك . (نواسك) من المواساة وهي التسلية عن المصيبة . (البلاء) الاختبار . (فتيممت) قصدت . (فسجرته) أوقدته بها . (تعتزل امرأتك) لا تجامعها وهي عميرة بنت جبير الأنصارية Bها . (ضائع) قاصر عن القيام بشؤون نفسه . (حركة إلى شيء) من جماع ومباشرة وغيرها . (الحال التي ذكر ا) في قوله تعالى { وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم . . } / التوبة 118 / . (أوفى) أشرف . (سلع) جبل معروف في المدينة . (فخررت)

أسقطت نفسي على الأرض . (آذن) أعلم . (ركض) استحث من الركض وهو الضرب بالرجل على بطن الفرس لتسرع .

(يتبع...)